فالعربي هو ذلك المتمدن المتحضر المهذب المثقف ، المتعلم العالم العزيز الأبي الناطق بلسان القرآن . وليس بعرب « خُرّابُ بادية عَرّتْ بطونُـهم [١] » ولا قراضيب [٢] في (الجزيرة) ولا مُدْلَفِـقُون [٣]

وآنف من أخي لأبي وأمي إذا مالم أجده من الكرام [٤]

وقد قلت من قبل : ألاَ إننا كلنا أجمعين عرب أو عربيّون وإنه ليَحُقّ هذا لهجة عربية أُلهجنا منذ القديم بها ، وأدب عربي نُجِمْنا به [٥] وروينا منه ، وخلق عربي اشتملنا عليه [٦] . وما الأمة إلا لغتها وأدبها وخلقها ، وكفى بذلك جامعاً ، وإن لنسب الواشج إلا زائدة ، ولو عزا العازي كل أمة وفتش أصلها تشظّت وراحت أمماً . . .

وهو قول لم يلاق مكذّباً ، ولم يجد أحد عنه مُتَعَقَّباً [٧]

وإن هذه العربية أم العلم ، وربة التفكير ، وزعيمة البحث والنظر — لن تقول لمصري من أبنائها — وهنالك في وادي النيل ماهنالك هناك التاريخ الناطق ، وهناك مجد باسق ، فلن تقول له : طلّس [٨] طرّس ، بل تقول له : مجّد وقدّس ؛ إنك قد سكنت جنتين ، كنت ذا المنقبتين ، وكانت دارك مصدر المدنية ، وموئل العربية . جمعت العز من أطرافه : سؤدد (المصري) ومجد العربي [٩]

مصر مصدر العلم والمدنية

مصر موئل العرب والعربية

مصر ! حيا الله مصر ! حيا الله رَبعَها [١٠]

محمد اسعاف النشاشيبي

---

١) المثني ، والخارب اللص وخصه الأصمعي بسارق البعران
٢) القرضوب : اللص
٣) الادلفاف : المجبي للسرقة في ختل واستتار (المخصص)
٤) المتنبي
٥) سئل أبي عن النبيذ فقال : عليك بالماء ، عليك بالسويق الذي نجمت ي غذيت به في الصغر « الأساس »
٦) من المجاز : عجبت من حاله واشتماله على أخلاق جيلة وسير مرضية أساس)
٧) مشعباً : متفحصاً يعني أنه من السداد والصحة بحيث لايحتاج إلى تعقب
٨) طلس الكتاب : محاه وطرسه بالغ في إزالته
٩) من مهيار
١٠) ربعها : قومها

سلوك المرأة
وسلوك الرجل
للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

أمر النساء في كل حال عجيب . وإذا كان أحد من الرجال يفهمهن — كما ينبغي أن يُفْهَمن — فأنا والله بهن جاهل . ولي العذر ، فما أراهن يفكرن في شأن على نحو ما أفكر أنا أو يتناولنه من الناحية التي أتناوله منها . وأحسب أن هذا الضرب من الجهل هو الوحيد الذي لايعيب المرء أو يسقط قيمته أو يزري به . قالت لي مرة فتاة من معارفنا : « ماقولك ؟ » قلت : « خير إن شاء الله ! نعم ياستي ! » قالت : « هل يشغلك شيء غداً ؟ » قلت : « إذا كنت تعنين بالشيء العمل فإنه لا ينقطع ؛ على أن أمري بيد الله ثم بيدي . فأشيري كيف تأمرين ، والعوض على الله » قالت : « اسمع . نريد . . »

فقاطعتها : « نريد ؟ . هكذا ؟ بلفظ الجمع ؟ »

قالت : « لا تقاطع من فضلك . اسمع . . . نعم أختي وبنت عمي وأنا »

قلت : « أهلاً وسهلاً . . تفضلي »

قالت : « الجو في هذه الأيام بديع . . تهيّئي لنا زورقاً حسناً نظيفاً مريحاً ، نركبه في النيل ونقضي يومنا كله على متن الماء ، ونتغدى فيه أو في إحدى « القاتات » التي نمر بها في طريقنا »

قلت : « اقتراح جميل ، ولكن . . أنا وحدي أكون معكن ؟ وفي خدمتكن ؟ ارحمن يُتيمي يافتيات ! »

فقالت : « تستطيع أن تدعو فلاناً وفلاناً »

فدعوتهما وأعددنا الطعام ومررنا بهن فحملناهن إلى قصر النيل حيث كان الزورق ينتظر ، ولم ألق إليهن نظرة حتى نزلن من السيارة وشرعن ينحدرن إلى مكان الزورق ؛ فدهشت ، فقد كانت ثيابهن زاهية نظيفة مكوية ، بل كانت أفخر وأبرع ما رأيتهن فيه ، فتناولت ذقني بيدي وقلت : « هيه . . . نهارك أسود يا أبا خليل » ولم أكد أهز رأسي هزتين حتى نادتني إحداهن فنظرت إليها

مستفسراً فقالت : « خذ بيدى فإنى أخشى أن أزل وأقع على التراب أو تغرص قدمى فيه » فسألتها وأنا أتناول يدها :

« أين تحسبين نفسك ؟ فى سباق الخيل ؟ ما هذه الثياب التى لبستها ؟ »

قالت وهي تحنى رأسها لتنظر إلى قدميها : « ما لها ؟ ألا تعجبك ؟ »

قلت : « تعجبنى وتعجبنى .. ولكنها لن تعجبك بعد نصف ساعة فى الزورق »

ولا أطيل . ركبن ، ووثبنا نحن وراءهن فأشرنا إليهن أن يجلسن فنظرن إلى المقاعد — ولم يكن بها سوء والله — متأففات مترددات فنفضنا لهن التراب الموهوم عن الحشايا المطروحة على المقاعد . وصحيح أنها ليست وثيرة جداً ، ولا جميلة المنظر ، ولكنها نظيفة . غير أن فتياتنا تبادلن نظرات تنبئ بالامتعاض ولا تنبئ بالرضى ، ثم انتهين بأن جلسن متلاصقات جداً محاذرات أشد الحذر ؛ وكان لابد أن أغضى عن ذلك فليس ذنبي أنهن جئن فى ثياب لا تصلح إلا على الأرض اليابسة . وناولت أحد إخوانى مجدافاً وأخذت أنا الآخر ، وتركنا الدفة لثالثنا ، وقام الملاح فدفع الزورق عن الشاطىء بالمردى ، ثم بدأنا نجدف . وكنت أضرب الماء برفق شديد حتى لا يطير منه شىء ، ولكن رشاشاً منه كان يصيبهن على الرغم من ذلك فيصرخن ويتلاغطن ثم يتدانين ويعبّسن ويمسكن عن الكلام ولا تبقى لهن عين يدرنها فى الناظر التى جئن لينعمن بالنظر إليها

وأخيراً قال الذى بيده الدفة : « خذ أنت الدفة وأعطنى المجداف »

فلم أتردد فى القبول فما كان يسرنى أن أكون سبب التنغيص . وأخذ صاحبي مقعده وراح يضرب الماء بعنف فيتعالى الصراخ فلا يعنى بأن يلتفت إليهن ولا يزيد على أن يقول وهو يضحك : « لا بأس ! سينشف الماء ثم يفرك الوحل فلا يبقى شىء ... » وقد حزن ماذا يصنعن لاتقاء هذا المطر . وكنت ربما ضحكت إذ أراهن يخرجن مناديل فى سعة الكف وينشرنها على حجورهن كأنما من الممكن أن تستر شيئاً .

وأخيراً بلغنا مكاناً دنونا من شاطئه ، وقال الملاح : إن الأحسن أن يجر الزورق بالحبل . وقام فأخرج حبلا طويلا شده إلى الزورق ووثب إلى الشاطىء وراح يجر ، وقعد أحدنا عند الدفة ليضبط الزورق فلا يجنح أو يلصق بالأرض . فعاد إلى الفتيات البشر وانطلقت ألسنتهن وان كن لم ينسين موجدتهن علينا لما أصابهن من البلل . ثم تهامسن ونهضن وجعلن يصحن بالملاح وهو بعيد لا يسمع ونحن نسألهن ماذا يبغين وهن لا يبالينا أو يجبننا . وسمع الملاح فوقف وارتد الينا ، وإذا بهن يردن أن يتولين هن جر الحبل أو « اللبان » كما يسميه النواتية . فنصحنا لهن ألا يفعلن وحذرناهن وأنذرناهن فأبين إلا أن يفعلن ، وفى ظنهن أن هذا أسلم لثيابهن وأشرح لصدورهن وأجلى للصدأ وأجلب للصحة أيضاً ، فتركناهن يفعلن وأدنينا لهن الزورق من الشاطىء وحملناهن واحدة واحدة إلى الأرض . فذهبن يجرين إلى أول الحبل حيث تركه الملاح ودفعت نحن السفينة إلى الماء مرة أخرى وكنا نراهن فاذا باثنتين منهن يتناولان الحبل معاً وكانت الثالثة تدور حولهما ولا تصنع شيئاً فر تكون أمامهما وتارة تكون خلفهما وهكذا ، فانتهى الأمر بأن التف الحبل على سيقانهن جميعاً فصرخن ووقفن يحاولن تخليص أرجلهن مما أحاط بها فخلصت أرجلهن ولكن الحبل صار على صدورهن وأعناقهن ، والزورق يضطرب بنا ونحن نحاول أن نضبطه بالمجداف واستطعنا أخيراً وبعد لأى وصراخ فظيع أن يتجنبن شر أنفسهن ، فتهامسنا بأن الأولى بنا أن نسكت وندعى الجهل بما حدث وأن ننظر ماذا يصنعن بعد ذلك . ويظهر أنهن خجلن أن يقلن شيئاً فعدن إلى الحبل واستأنفن جره فجمدنا ولكنهن كن يمشين شيئاً ، ثم يقفن فجأة وعلى غير انتظار منا فيضطرب بنا الزورق فناديناهن ، فلما تنبهن إلى أننا نريد تكلمهن وقفن وأقبلت علينا واحدة منهن وقفت بعيداً وأشارت إلينا تسألنا عما نريد ، فصحت بأعلى صوتى : « لا تقفن » فقرنت ويدها على أذنها : « إيه ؟ » فقلت لصاحبي : « صوتكما أقوى » فكلماها وأفهماها أن الوقوف يضايقنا ويتعبنا ، ففعلا . فلما عرفنا ما نريد بدأت تسألنا هل نحن مسرورون ، وهل هن يحسن الحبل ؟ فأثنينا على براعتهن ، وامتدحنا حذقهن ، وأكدنا لهن الدولة حين تحتاج إلى ربابنة ونواتية للأسطول فانهن سيكن الرشحات أو خير أساتذة المدرسة البحرية . وكنا نرجو

تعود إلى زميلتيها فيستأنفن جر « اللبان » ولكنها تذكرت أن بها حاجة إلى منديل مما فى حقيبتها فأخرجناه لها وحملناه إليها فذهبت به وإذا بثانية تعود وتصيح بنا أنها هى أيضاً تحتاج إلى منديل فناولناها إياه ، وبدا لها أن الثالثة قد تطلب منديلها فيحسن أن تأخذه لها على سبيل الاحتياط ، فأجبناها إلى ماطلبت ، فذهبت ثم عادت وقالت إن الثالثة لا تريد المنديل فهى ترده لنضعه حيث كان فأطعمنا ومضت ، وبعد دقائق أخرى عادت الثالثة تقول : إنها رأت أن الأحسن على كل حال أن تأخذ المنديل ، فدعونا الله أن يعيننا على الصبر وأعطيناها المنديل فذهبت وأوعزنا إلى الملاح أن يلحق بها وأن يتولى هو الحبل ولا يدع للفتيات إلا النظر

ولما جاء وقت الطعام تخيرنا رقعة من الأرض خضراء ظليلة وتأهبنا للجلوس فنظرت الفتيات إلى الأرض مشفقات من البلل كأنما بقى ما يخشين على ثيابهن التى خططها الحبل بالوحل فنشرنا لهن مناديلنا فان مناديلهن لاتصلح لشىء إلا للزينة . فجلسن عليها الرماح استقامة ، وكنا نشعر أنهن غير مرتاحات وأن الجلسة تعبة لهن ، وأن خوفهن البلل ينغص عليهن ولكن ماذا كان معنا أن نصنع ؟ ولو كان يسعنا أن ننقل لهن بعض أثاث البيت من سجاجيد وحشايا ومتكآت وما إلى ذلك لفعلنا . ولكنا لم نكن نعلم أنهن سيرتدين هذه الثياب التى تصلح للعرض ولا تصلح لحلة على النيل .

وانحدرت الشمس قبل أن نعود إلى قصر النيل فكدن يبكين لهن تأخرن وكن على موعد مع الخياطة ، فعجبنا لا تعادهن لها فى يوم يخرجن فيه لمثل هذه الرحلة التى طلبنها وأردن أن تغرق النهار كله ... ولكن المرأة هكذا أبداً ... تكون لها عين الجنة وعين فى النار . ولست ألومها أو أعيبها فانها طبيعتها التى حيلة لها فيها ، ولكنى أرجو ألا ألام — وأن أعذر — إذا نت أشعر بالحيرة والعجز فى كثير من الأحيان عن الفهم صحيح والتقدير المرضى المريح ؛ وأحسب أن الرجال جميعاً مثلى لة مساكين . ولا شك أن المرأة يحيرها كذلك مالا تفهم من ع الرجل وسلوكه ، فالعجب بعد ذلك أن الجنسين يستطيعان يقنعا أنفسهما بأنهما متفاهمان ، وأن كل شىء بينهما على ما يرام

ابراهيم عبد القادر المازنى

٢ ـ مصر
فى أواخر القرن الثامن عشر
كما يصفها الرحالة ساڤارى
للأستاذ محمد عبد الله عنان

أشرف ساڤارى على القاهرة بعد رحلة ممتعة فى النيل ، فلم ترقه العاصمة ولم تبهره مناظرها كما بهرته مناظر الأسكندرية ؛ ذلك أن القاهرة التى كانت خلال العصور الوسطى أعظم مدن الاسلام ، انتهت فى أواخر القرن الثانى عشر إلى مدينة متواضعة تحيط بها التلال والخرائب ويصف لنا ساڤارى خطط العاصمة المصرية يومئذ ، وضيق شوارعها وأزقتها ؛ ولكن القاهرة كانت مع ذلك تلفت النظر بمساجدها الثلاثمائة وقلعتها التاريخية المنيفة ، ويقدم الينا ساڤارى عن القلعة وعن أبنيتها وسكانها صورة شائقة ، فيقول لنا إنها فقدت مناعتها القديمة منذ اخترع الديناميت ، وان لها مدخلين تحرسهما ثلة من الانكشارية وستة مدافع مصوبة نحو مسكن « الباشا » ذلك أن الانكشارية يمالئون البيكوات المصريين ، والبيكوات هم الذين يملون إرادتهم على الباشا ، وفى داخل القلعة قصر سلاطين مصر السالفين ، قد غلب عليه العفاء والخراب ، ولكن بقيت منه عدة أعمدة ضخمة وجدران زاهية ؛ وفى أحد أبهائه المهجورة تصنع الكسوة النبوية التى يحملها أمير الحج كل عام . ويسكن الباشا بناء كبيراً يطل على «قره ميدان» ، ويعقد الباشا الديوان ثلاث مرات فى الأسبوع فى غرفة الديوان الشاسعة ، وقد خضبتها دماء البيكوات المصريين الذين فتك بهم الباب العالى قبل ذلك بأعوام قلائل . أما اليوم فهم سادة مصر ، وليس لممثل السلطان أية سلطة فعلية ، وإنما هو أداة فى أيديهم يحركونه طبق أهوائهم ، بل هو سجين فى القلعة لا يستطيع أن يغادرها دون إذنهم . أما الانكشارية فيسكنون فى قصر صلاح الدين وقد بقيت منه أطلال تدل على عظمته السابقة ، وأربعون عموداً من الجرانيت الأحمر ؛ وإلى جانبه توجد منظرة عالية تشرف على القاهرة ، يرى منها منظر المدينة الرائع بمبانيها ومآذنها وحدائقها